دلالة اللّون
في أشعار قاسم والي السماوي

The Significance of Color
in the Poetry of Qasim Wali Al-Samawi

م.م. احمد فليح حسن
المديرية العامة لتربية المثنى

M. M. Ahmed Fleih Hassan
General Directorate of Education, Al-Muthanna
ahmedfleyeh@gmail.com

الملخص

يتناول البحث بالدراسة والتحليل دلالة استعمال اللون في اشعار قاسم والي وقد جاءت هذه الدراسة للكشف عن الدلالات التي تعامل معها الشاعر في توظيفه للألوان. فاللون يحمل دلالات جمالية ورمزية تعبر عن موضوعات الحياة.حاولنا أن نرصد انفعالات الشاعر بها من خلال التمثيل بنماذج شعرية تكشف لنا رؤية الشاعر للألوان ودلالاتها النفسية والاجتماعية، ومدى تأثير التقاليد والموروث الثقافي في فهم الشاعر لهذه الدلالات، ذلك الفهم الذي انعكس في اشعاره التي وضعنا أيدينا على نماذج منها تفي بما يكفي لتوضح الصورة التي نظر بها الشاعر للألوان.

الكلمات المفتاحية: قاسم والي، اللون، الدلالة، الألوان المفردة، الألوان المركبة.

Abstract

This study examines and analyzes the significance of the use of color in the poetry of Qasim Wali. It aims to clarify the connotations through which the poet employs and determines colors in his poetic expression .Color, in this

context, carries aesthetic and symbolic meanings that articulate various aspects of life. The study seeks to trace the poet's engagement with color by presenting selected poetic models that reveal his contemplation of colors and their spiritual and social connotations. It also investigates the extent to which inherited cultural behaviors and collective consciousness influence the poet's understanding and employment of these connotations. Such an understanding is reflected in his poetry, where selected examples serve to elucidate the perspective through which the poet perceives and represents colors.

Keywords: Qasim Wali, Color, Signification, Single Colors, Composite Colors

المقدمة

إنّ اختيار الألوان في الشعر يرجع الى دوافع متعددة منها: نفسية لا إرادية، ومنها عقلية ادراكية، ومن خلالها تأتي الالوان بدلالات مباشرة أو بدلالات رمزية غير مباشرة قابلة للقراءة المتعددة بحسب جنس اللون ودرجة تأثيره في المتلقي ومقدار مزاجية الشاعر، وطبيعة التجربة والموقف. إنّ العالم يدور من حولنا بألوان شتى، فأينما ينتقل الإنسان بنظره وجد لوناً يرتبط بإنسان أو حيوان أو نبات أو جماد. بل إن هذه الألوان تعد الوسيلة الأولى للتميز بين الأشياء عندما تختلط الأمور، وقد أدرك الإنسان هذه الحقيقة منذ القدم ، وفطن الشعراء إلى فاعلية اللون وعلاقته بالعمل الشعري، وانعكاساته الابداعية، وتأكدوا أن هناك جاذبية يحققها اللون، فتجعله عنصرا من عناصر التشكيل الجمالي في الاشعاع الشعري، وبذا تكون هنالك عملية تجاذب جمالية بين الشاعر والمتلقي، وأكثر ما تثير هذه العملية التفاعلية المقدرة اللغوية، تلك المقدرة التي تطاوع منشأها لتكون قادرة على ان تمده بما يحتاج من لمسات ابداعية معبرة عن مكنوناته الدلالية .

قد قُسم هذا البحث على مبحثين تناول المبحث الاول اللون لغة واصطلاحا أما المبحث الثاني تناول اللون في المنظور الشعري ونبذة عن الشاعر قاسم والي السماوي ثم تناول الألوان ودلالتها في أشعار قاسم والي السماوي على قسمين الألوان المفردة ثم الألوان المركبة ثم الخاتمة هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الاول

اللون:

شغل اللون ومدلوله جزء كبيرا من حيز الدراسات الأدبية قديما وحديثا، بل أصبح ملمحا جماليا في الشعر العربي القديم، وقد ذهب المفكرون والفلاسفة مذاهب مختلفة في دراسة الألوان ودلالاتها، فربطوا بين الأرض ولونها، والجسم وأجزائه [1]، وبذلك هم يؤكدون عد انفكاك الإنسان

وما حوله عن عالم الألوان، وقد أشار معظم الباحثين إلى صعوبة وضع نقطة زمنية تدل على ميقات الحديث عن الاهتمام الفلسفي بالألوان لكن هذا الاهتمام يضرب بجذوره في الماضي البعيد [٢] ولابد لنا في البدء أن نقف عند تعريف اللون في اللغة والاصطلاح.

اللون لغة واصطلاحا

اولا: اللون لغة:

فقد جاء في لسان العرب أن» اللون هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان [٣] وقد اشار ابن منظور إلى الشرح اللوني وقيمته إذ قال:» وقيل في الألوان، الواحدة لونه فقيل لينة بالياء والجمع لين ولون وشبة الالوان بالتلوين، وشبه ألوان الظلام بعد المغرب يكون أولا اصفر ثم يحمر ثم يسود بتلوين البسر يصفر ويحمر ثم يسود ولون البسر تلوينا إذا بدا فيه النصع [٤] وقد ذهب ابن فارس مذهبا قريبا من ذلك اذ قال:» اللام والواو والنون كلمة واحدة وهو لون الشي كالحمرة والسواد»، اما الخليل الفراهيدي فقد وجد أن مفردة اللون مفردة واضحة يحسن السكوت عليها اذ قال: اللون معروف وجمعه ألوان [٥]

وبما ارتبطت هذه المفردة بقدسية وحتمية الشيب فقد جاء في تاج العروس «لون الشيب فيه ووشع، بدا في شعره وضح الشيب»، وقد عبرت دلالة اللون عن الجنس أو النوع وهذا ما أكده الراغب الاصفهاني عندما قال:» يعبر بالألوان عن الجنس والأنواع، يقال فلان أتى بالألوان من الحديث وتناول كذا ألوانا من الطعام « كما تدل لفظة اللون على تغير خلق الانسان فقيل:» فلان متلون: إذا كان لا يثبت على خلق واحد [٦]

ومما سبق يلحظ إن التعريفات اللغوية جميعها تصب في المعنى نفسه الذي تدل عليه لفظة (اللون)، فهي تدل على الاصبغة اللونية والتغير والتبدل في خلق الانسان.

ثانيا: اللون اصطلاح:

عرف اللون بأنه» اختلاط الجسم المستشف بالفعل وهو (النار) مع الجسم الذي لا يمكن أن يستشف وهو الأرض، وقد قيل بأنه:» خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على موجة الضوء الذي يعكسه» وقد عرفه الفلاسفة بأنه:» كيفية للجسم مدركة بحسن البصر [٧]

واللون في حقيقته العلمية: ظاهرة فيزيائية ذات لطبيعة اهتزازية فهو يشترك بهذه الطبيعة الاهتزازية مع الصوت، ولذا فإن ما يميز الالوان هو ذبذباتها الخاصة لكل منها في الثانية الواحدة [٨] وقد تعددت الالوان في الطبيعة، فنجدها تتقارب وتتباعد في الدرجات اللونية لكل منها وهذا ما أثقل مسمياتها في اللغة، فصارت عشرات الأسماء تدل على لون

واحد باختلاف تدرجاته اللونية. إذ يعود الاختلاف في أسماء الالوان ومسمياتها إلى اختلاف الحقول الدلالية التي ترد اليه [٩] ولقد كان العربي الجاهلي يستطيع (بسليقته) أن يلمس أدق الفروق في الألوان، ألوان البيئة الطبيعية المحيطة به، ويعبر عنها في ادق مسمياتها، وقد كان اللون الاسود من أبرز الالوان بل يقع في مقدمتها، وكذاك اللون الابيض فهذان اللونان يعدان لونين متضادين ومتصارعين إذ ارتبطا بظلمة الليل وضوء النهار في بادية تحيطها مخاوف الليل وجنونه فيتخلص من هذه المخاوف بشمس النهار المضيئة، ويأتي الأحمر مرتبطا بدلالة الدم والقتال والحروب التي خافها العربي؟ وكذلك الاخضر الذي ارتبط على مر العصور بالنماء والخصب قال تعالى:(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة أن الله لطيف خبير) [١٠] لقد كان للألوان صداها في المؤلفات القديمة، ومن العلماء الذين أشاروا إلى ذلك أبي منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، وابن سيدة في كتابه (المخصص) وكذلك لأبي عبد الله النمري في كتابه (الملمع)، إلا أن هذه الوقفات كانت عبارة عن اشارات كان فيها التأكيد على اللون لكن مع عدم الوقوف عنده بدلالته، ولم يقفوا عند مدلولات هذه الألوان بل كانت عبارة عن اشارات بسيطة.

وعلى الرغم من افتقار البيئة الصحراوية التي سكنها الشاعر القديم للألوان- إلا أنه استثمر هذه البيئة، إذ لم تخلُ استعاراته من الدلالات اللونية، وربما كان ذلك بفعل تسلط القوة اللونية على المؤثرات النفسية للإنسان العربي القديم لاسيما الشاعر البدوي، مما جعله يعنى عناية فائقة بالألوان وهذا ما اكده العالم القديم المسعودي في كتابه (مروج الذهب) إذ وضح بأن من ينظر إلى الأسود فانه ينقبض، معللا ذلك بأنه يعود إلى الضدية والمباينة بين نور البصر ولون السواد. [١١] إذا لا يمكن سلخ الدلالات السيئة والتشاؤمية إلى اللون الأسود من المورث العربي القديم، فالأثافي ودلالتها والقيمة اللونية لها تعني الغربة والارتحال مثلا، فقد عمد المسعودي إلى ربط الألوان بالدلالات النفسية، فربط بين الأحمر والدم. وقد التفت الباحثون المحدثون الى هذه الميزة التي تمتع بها العلماء الأوائل في فصل الألوان ومدلولاتها والتأثيرات التي تركها، محاولين الربط بين اللون والخرافة، واللون والدين، واللون والتقاليد، هذا جانب من جانب آخر فإن هناك جاذبية يحققها اللون تجعل منه عنصرا مهما من عناصر التشكيل الجمالي في الفنون بعامة والشعر بخاصة [١٢] ، ولما يحققه اللون من تأثير وفاعلية فقد انعطف لفيف من الباحثين إلى دراسته في آي القران الكريم، وبحث آخرون نماسة

مع اللغة والمكونات النقدية للعمل الأدبي. وتكمن أهمية اللون في شعريته حين يكون عنصرا من عناصر القصيدة، وبهذا يصبح عنصر فعالا من عناصر تشكيل المشهد الشعري، ويتحقق ذلك التناسخ ونعني به انتقال روح اللون من وجودها الكيميائي إلى وجود علامي تنهض به اللغة ويضف الشعراء اللون في أشعارهم – طوعا وعمدا- لتنهض فاعلية التشكيل اللوني وبذلك يكون انتشار البقعة اللونية في النصوص الشعرية. لكن هناك قيم لونية تصطبغ بها بعض النصوص الشعرية وتفتقر إليها بعضها الآخر، وهذا إنما يعتمد على فاعلية أمزجة الشعراء فنجد بعض النصوص ذات اللون متوهجة ومتألقة، ونجد أخرى قد تضاءلت فيها فاعلية التشكيل اللوني [١٣]

المبحث الثاني.

نتناول في هذا المبحث اللون في المنظور الشعري في المطلب الأول، والألوان المفردة والمركبة في المطلب الثاني.

المطلب الاول:

اللون في المنظور الشعري

يعد اللون ذلك الانطباع ((الذي يولده النور على العين، أي النور الذي يتم نشره وتوزيعه بوساطة الأجسام المعرضة للضوء)) [١٤]

إن اللون عنصر من عناصر الكون التي تعد مفردة من مفردات الوجود وتبرز بوصفها مكونا من مكونات الجمال في حياتنا، والشعر بوصفة قيمة جمالية في ذاته يتخذ الصورة وسيلة من وسائل تأصيل ابداعه، وهذه الصورة تعتمد على وسائل تشكيل الألوان والخطوط للتعبير عن الحب والكره والحزن والفرح والبرودة والتوتر والسكون وغيرها [١٥]

ومن هنا نجد أن للألوان أثرا بالغا في النفوس، يتفاوت بها التأثير من شخص إلى آخر، وفي نفس الفرد كذلك، إذ أن هنالك أفراد تؤثر فيهم ألوان بعينها، على وفق الرغبة أو التجربة لذلك الفرد وخبراته في الحياة، فضلا عن معان أخرى ترتبط بانفعالات النفس الإنسانية وعواطفها اتجاه الألوان وتأثيراتها النفسية.

إن الألوان توحي بالانسجام او بالصخب، وبهذا تبدو تمثيلا حسيا لدواخل الشخصية وافكارها وقد زودتنا اللغة العربية بأسماء كثيرة نفهم منها الالوان وتساعدنا على التميز بين تدرجات اللون الواحد [١٦] إذ على ما يبدو أن اللون ذو نفس فيزيائي لأنه ذو تأثيرات خاصة تترتب على اختلاف اطول الموجات الضوئية فتجعلنا نطلق أسماء عليها كالأحمر والأخضر والأصفر، إذ أن لكل لون من هذه الألوان موجات ضوئية خاصة به ولا يتم الشعور بها وأدركها إلا تحت تأثير نور مسلط [١٧] وكذلك (الحال في الأدب شعرا ونثرا، تؤدي الأضواء والالوان فيه دورا ابداعيا فنيا وتوضح المعاني وتجسمها، وتضفي عليها الوصف الضوئي واللوني حركة وحياة

تقربها من النفس والروح، وتهديها إلى الادراك مصوغة أجمل صياغة، مشكلة منمقة، واضحة المعالم، بينة التفاصيل، بل قد يضفي اللفظ الأدبي على معاني الأضواء والألوان غموضا محببا شفيفا وسحرا خلابا إذ يموه المعاني في رمزية لطيفة أن احتاج الهدف إلى تمويه) [١٨]

ان اللون يحمل الدلالة الخاصة لدى الشاعر، وذلك لانصهار الالوان بالطبيعة وما يتعلق بها. وان انتقائية الشاعر للألوان في شعره، يرجع الى مزاجية تفرضه طبيعة الموقف او التجربة الشعرية.

فاللون اذن يحمل دلالة بوصفة عنصرا فاعلا في تجربة الشاعر تنصهر فيه جميع الدلالات الحقيقية والمجازية ويخرج اللون من دلالاته الوصفية الشكلية الى دلالة على موصوف اخر وفيه يلح الشاعر ويومئ ويصرح ويلمح عفويا مرة وتصنعا عند اخرين، وفي الحالتين تكون ايماءات اللون معينا يستمد الشعر منه جزءا من طاقته [١٩]

إذ ان اللون احساس يثير فينا حركة جمالية ناتجة من اتصاله المباشر بنا بوساطة ذبذباتهُ المحسوسة او اتصالهُ غير المباشر عن طريق الحركة الذهنية المثارة من الكلمات المستودعة والمنثورة بصفة انتاجية في المبدع الفني، وهي اللوحة التصويرية في القصيدة الشعرية، وهو بهذا يعد المولد للصورة والمحقق لها تشكيليا، ذلك لأنه يعد انفعالا وجدانيا من خلال الاحساس به في اثناء رسم الشاعر للوحته لا بصفة التجريد ورمزية اللون بل بدلالاته الجمالية التي تساعد على الادراك الاكمل لمكونات الصورة اللونية في التشكيل الشعري [٢٠]

ان للألوان مؤشرات تزين النسيج الباطني للنص وهذا ينعكس من خلال حساسية الشاعر للألوان واستجاباته النفسية لها في انتفاء اشكالها من الطبيعة الحقيقة او الاصطناعية او الذهنية، ومهما كان نوعها فقد تسهم في اكتساب الصورة قدرة تأثيره في سياق النص وتهب القاري والمتذوق اثرا فاعلا، والالوان يتداولها الناس جميعا، ويبقى للشعراء خصوصية التشكيل والتعويض والقلب، ومستفيدين من الفنون البلاغية [٢١]

وقد يلجا الشاعر الى المفارقة في تحديد الالوان وذكرها، فهو لا يذكر الالوان ليدل فيها على المسميات المتعارفة، انما يتلاعب بدلالات الالوان مما يدل ذلك على قدرة الشاعر في فهم دلالة اللون وما يخرج فيه الى معان اخرى

ويأتي دور اللون بوصفه مثيلا اساسيا في عمليه الخلق. اي انه مظهر من مظاهر الحياة الجمالية المعنوية والحسية التي لها أثرها في مشاعر الانسان وحياته النفسية وإحساسه باللذة في الحياة اذ ينعش فيها العاطفة وبوقظ المشاعر ويثير الخيال [٢٢]

فالألوان والفاظها اكتسبت بمرور الزمن الى

جانب دلالاتها الحقيقة دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة او ارتباطات بظواهر كونية او احداث مادية نتيجة لما يحمله اللون ذاته من قدرات تأثيرية وما يحمله من ايحاءات معينه تؤثر على انفعالات الانسان وعواطفه [٢٣]

والالوان عند الشاعر ((ليست مجرد مدركات حسية بصرية محددة، وانما هي شتيت من الايحاءات والمعاني المبهمة والمحيرة في كثير من الاحيان، فنراه حين يستخدم الوانه لا يضعها في اطارها المألوف دائما)) [٢٤] انما يضعها في أطر جديدة تدلل على مقدرته الفنية في رسم اللوحات والصور الشعرية.

المطلب الثاني:

الالوان المفردة والمركبة:

نجد في مجموعة الشعرية (تراتيل اوروك، قراطيس بألون راية) للشاعر قاسم والي السماوي ان الشاعر عمد الى توظيف الألوان المفردة والمركبة مما دفعنا إلى الخوض في هذا المضمار والدراسة بهذه الكيفية. قبل الخوض في ذلك لابد من إعطاء نبذة عن الشاعر قاسم والي.[١*]

اولا: الالوان المفردة:

وقد تناولنا اللون المنفرد في النص الشعري عند قاسم والي، وقد بدأت بالألوان الأكثر استعمالا وذكرا في هذه المجموعة بشكل تدريجي. لقد وردت في مجموعة الشاعر قاسم السماوي ستة ألوان وظفها في صياغة صوره الشعرية بإشارة لونية مباشرة أو غير مباشرة وهي كما يأتي:

١-اللون الأبيض:

لقد عرف العرب اللون الأبيض ووضعوا له الفاظا خاصة لتميزه في نفوسهم، مما جعله أكثر الألوان تداولا في الشعر الجاهلي، وقد أدرك الثعالبي القيمة اللونية وكذلك الوصفية فضلا عن سمة التدرج لهذه اللون، بل ذهب إلى أكثر من ذلك فقد وضع فصولا في تسمية الأشياء بحسب ألوانها والقيمة التفصيلية لهذا اللون أو ذاك لكنه قدم البياض على غيره من الألوان لعلمه أن العرب تتبارك بهذا اللون [٢٥]

وكذلك أن القران الكريم قد أكد على دلالة الألوان ومنها الأبيض فقد ارتبطت دلالة الأبيض بالرحمة إذ قال تعالى:(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) [٢٦]

وقد نجد اللون الأبيض في أشعار قاسم والي السماوي:

١* قاسم والي عبد: شاعر من العراق من مدينة السماوة تولد العام ١٩٦٠ عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين دبلوم الصناعات الكيمياوية منذ العام ١٩٨٠شارك بالعديد من المهرجانات الشعرية في العراق حاز على الجائزة الثانية في مجال القصيدة العمودية في مسابقة النور للأبداع لعام ٢٠٠٩ صدرت له مجموعة شعرية بعنوان (تراتيل أوروك) عن دار الينابيع بدمشق ٢٠١٠ مازال على قيد الشعر. (وأنا على قيد القصيد لأنني أنا والقصيدُ العريُ والجلبابُ)

حيث نجد أنه استخدم البياض دلالة على صفاء نفسه وهي أكثر نقاء من البياض كما يرمز إلى السلام والألفة والوئام مع الجميع بغض النظر عن قومياتهم وعقائدهم حيث يقول:

على كل البياض سكبت بعضي

وما بعضي سوى كل البياض [٢٧]

وقد نجد الشاعر أيضا استخدم اللون الأبيض دلالة على اصالة الخيول وهي الخيول البيضاء التي لا يستطيع ركوبها إلا صاحبها وهي خيول أصيلة، دلالة على شجاعة الشاعر وتمرسه في الشعر وذلك من قصيدة في رثاء الجواهري بعنوان(الجواهري) وذلك في قوله:

ركبت الخيول البيض دوى صهيلها

وكانت خيول الاخرين تصاهل [٢٨]

الشاعر يجد أن صفة البياض تنطلق من مصادر الانارة فقد جعل الشاعر الليل منسدلا على ضياء الصباح دلالة على الحزن والظلمة حيث أعطى للسواد صفة الحزن والستر التي خيمت على البياض وذلك في قوله:

هناك ابصرت ليل الله منهطلا

على صباحاته البيضاء منسدلا [٢٩].

وقوله أيضا في ذكرى الراحل شاكر رزيج:

يشاكسني الشاعر الطفل في

تراود أوراقي البيض بعض القصائد

يستحيل الفضاء اضطرابا [٢٩]

دلالة اللون الأبيض على أن مشاعره كشاعر في بداية مسيرته لا تستطيع أن توصف الفقيد لما له من مكانة عالية وما خلفه موته من حسرة في نفس الشاعر.

قوله في رثاء الشاعر الراحل الشاب زهير الحوراني.

أيها الشاعر الصغير

ايها الشرطي قصير القامة

المتلفع بالبياض

المتوهج بالانثكال [٣٠]

وقد أشار الشاعر إلى اللون الأبيض والتوهج الذي هو صفة للبياض وهنا انطوى على منظور مغاير لمدلوله إذ دل على الحزن أي دلالة البياض هنا هي الكفن والشجن وهي صورة للموت الذي المّ بالشاعر الفقيد. وترمز الى ثنائيات الحياة والموت.

ومما قاله الشاعر قاسم والي في رثاء الراحل المسرحي والشاعر الدكتور ناجي كاشي:

وخلف ذاته البيضاء تجري

فراتا اخرا عذبا قراحا [٣١]

وهنا الشاعر نظر إلى الألوان ليس إلى الظاهر أو إلى الدلالة الظاهرة منها فقط بل حاول أن يغوص في أعماقها، ويبحث عن مكنوناتها فنجد أن الشاعر عمد إلى وصف ذات مرثية بالبياض، وذلك دلالة على شرف نسبه وطهارة ذاته واحترام الناس له فهو ذو مكانة عظيمة، ومما ترك في قلوب محبيه نهرا من الجروح والألم على فقده.

٢-اللون الاسود.

يُعدّ هذا اللون من أقوى الألوان التي فرضت سطوتها، وقد أثر عن هذا اللون دلالات تشاؤمية، ورثها العرب عن آبائهم وأجدادهم، فقد تطير العرب من الغراب الأسحم. وذلك لما جلبه ودل عليه هذا اللون من الغربة والارتحال بل كانوا يتطيرون حتى من النطق باسم هذا اللون أو أحد مشتقاته [٣٢] وقد خاض العرب قديما جملة حروب وغزوات فجاء التعبير (يوم أسود) ليكنى عن التشاؤم وتوقع الشر. والحقيقة أن دلالة السواد هي نفسها دلالة الليل في مفهوم العربي القديم، الليل الذي طالما طبق بأنفاسه على العربي الذي عاش في بيئة مفتوحة تملؤها مختلف أنواع الوحوش من سعال وذئاب وجن، وأنوع من الشر الحقيقي أو متخيل، وتحد هذه الصحراء أنواع من الغموض التي تخيف كل عربي ينتظر طلوع الشمس بشق النفس، لظنه أنها(بضوئها) من يخلصه من القدر الغامض [٣٤]

ومن أشعار قاسم والي يتحدث فيها عن تاريخ العراق وقياداته:

ياوطنا محكوما بالتاج وبالبيريه
محكوما بالعقل العربية
محكوما للخوذة للعمامة للطربوش
واخيرا لسدارة(فعلان)السوداء [٣٥]

أشار الشاعر هنا إلى السدارة السوداء وهي رمز لجميع الطوائف لأنها لا تميز من يلبسها ويرتديها وهي رمزا للوحدة وكنوع من المطالبة للسياسيين وغيرهم أننا نريد دولة مدنية متحضرة.

وقوله أيضا:

هذي هي اللغة السوداء أغنية حزينة
مات فيها الضوء والطرب [٣٦]

اللغة السوداء دلالة على الأيام الحزينة والمظلمة التي المت بالشاعر انعدم فيها الأمل والسعادة نتيجة القهر الذي شمل عامة الناس، وهنا نجد السواد يرمز الى الواقع الذي يعيشه العراقيون. وفي قوله أيضا:

فيا أنت الذي ما زلت تومض بي وميض
البرق في الظلماء من أضم [٣٧]

يخاطب الشاعر وطنه حيث استخدم الشاعر لفظة الظلماء دلالة عن أيام المحن والحزن وهو يرى أن هناك أمل وتجاوز المحنة من خلال لفظة وميض البرق التي تشير الى التحرر من القيود والأعراف التي تكبل الشعب ويقول أيضا في رثاء عبد الحميد رضا.

فقدناك في درب الظلام كأننا
فقدناك أقمارا وشمسا وأنجما [٣٨]

أشار الشاعر إلى الظلام ويقصد به السواد الحالك وإن قيمة المفقود هي التي تنير الدرب لنوره أهمية لا يمكن الاستغناء عنه، كما لا يمكن الاستغناء عن الشمس والقمر والأنجم.

٣-اللون الأحمر.

لقد برز اللون الأحمر بقيمته

الاجتماعية، وذلك لأنه يعد أثرا من آثار قدرة الطبيعة، فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة، وهو أطول الموجات الضوئية [٣٩]

وقد وضح الأحمر عن غيره باعتبار لون يثير الخوف والفزع ولعل الآية القرآنية تشير إلى ذلك، في قوله :(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) [٤٠]

وقد بين العرب القيمة اللونية والسمة التدرجية للأحمر، فقيل: «ذهب أحمر وفرس أشقر، ورجل أقشر....» وقد تعددت الألفاظ الدالة على القيمة المكنونة لهذا اللون، فهو لون البهجة، كما هو لون الحزن، وهو لون العنف وكذا المرح، وأكثر ما تصف به هذا اللون هو ارتباطه بدلالة الدم، لذا اخاف هذا اللون واحزن وأبكى لما فيه من قدرة تخيف وترهب في الحرب والطعان، وهو لون مقدس دينيا، وقد اختلفت القدرة اللونية في التعبير عن الاشياء لهذا اللون، إذا اختلفت بحسب الموقع الذي ترد فيه [٤١]

يقول السماوي في قصيدته بعنوان بوح:

باي قمصانك الحمراء تغمرهم

هم الخطايا التي قمصانها الخجل [٤٢]

لعل التاريخ والوطن هما جناحان يتعلق بهما الشاعر، ليطيرا به فوق الخراب والعذاب في صورة رمزية لتقديم الاضحية وهي احدى المعتقدات القديمة للتصالح مع الكون.

ومن قوله أيضا

ورفرفت رايتي الحمراء معلنة

انجازي الفذ في اني انتصرت على... [٤٣]

جاءت دلالة الراية الحمراء على الشهادة والنصر المتحقق منها وهو صورة من الأوضاع التي تمر بوطنه العراق من القتل والطائفية.

ويقول السماوي في قصيدة له:

فأمطر غيمتين

واباح لؤلؤة

لتسقط تحت قنطرتين

نحو الشفتين

فاحمر وجه من وجوه قصائدي [٤٤]

جاءت دلالة اللون هنا على الحب والاثارة والعاطفة.

ويقول أيضا في مدح الشاعر يحيى السماوي:

فينساب من بين جفنيك قلب

بهياة خارطة للعراق

احمر مستفز الجهات

يرتاب بالكون [٤٥]

دلالة اللون (القلب الأحمر) يرمز الى قوة وجرأة الشاعر في مواجهة الخصوم واستفزازهم ولا يقف هذا التحدي في مكان محدد بل يشمل كل أطياف الكون.

٤-اللون الاخضر.

لقد أحب العرب هذا اللون وذلك» لارتباطه بأشياء مهمة في الطبيعة اصلا كالنباتات والاحجار الكريمة، ثم جاءت

المعتقدات الدينية وعمقت هذا الاعتقاد لارتباطه بالخصب والشباب وهما مبعث فرحة الانسان»[٤٦] وقد عد الاخضر لبس اهل الجنة، قال تعالى (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) [٤٧] يقول الشاعر:

لم أكن كاذبا
مرتبه امام الينابيع
التفاحة الخضراء
(سيب سبز) [٤٨]

دلالة اللون (التفاحة الخضراء) ترمز الى الأمل والاطمئنان والتفاؤل والوسطية بين الإفراط والتفريط.

ويقول في قصيدة وهج النجيع:

هامات النخل الخضراء
يرويها منذ نشوء النخل الماء [٤٩]

اللون الأخضر هنا دل على شموخ النخلة وهي رمز للنماء والخصب والحياة والتفاؤل، وإشارة إلى العمق التاريخي المتمثلة بحضارة العراق.

ويقول أيضا في

ابناء الدرهم والدينار
ام ابناء الليرة والتومان
ابناء الدولار الاخضر
ام ابناء بنات الجان [٥٠]

دلالة اللون الأخضر اشارة للدولار الأمريكي كناية عمالة وخيانة السياسيين لوطنهم.

اللون الاصفر:

اللون الاصفر هو أحد الالوان الساخنة، فهو يمثل قمة التوهج والاشراق ويعد أكثر الالوان اضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء، واهبة الحرارة والحياة والنشاط والغبطة والسرور [٥١] وعبر العرب عن اللون الاصفر بألفاظ متعددة الدلالة على صفات هذا درجاته. فقالوا: اصفر واكدوه بقولهم: اصفر فاقع وللتعبير عن اختلاطه بغيره من الالوان، قالوا: اصهب، واكهب، وألهب للصفرة تخالطها الحمرة، وقالوا: اسفع واصحم للسفرة يخالطها سواد [٥٢]

يقول الشاعر:

الملم اشتاتي وحيدا تطيح بي
رياح الفيافي الصفر والحر والبرد [٥٣]

اللون الأصفر دلالة على الفتن والمحن والظروف القاسية.

ويقول أيضا:

هي ذاتها
التفاحة الذهبية
(سيب زر) [٥٤]

الذهب لونه اصفر هنا دلالته على المكر والخداع من خلال تكرار صورة المكر والخداع من اشخاص عاشرهم وتعرف عليهم خلال حياته فاصطدم بما أبدوه من خلال مواقف معينة مر بها معا فتبينت له معادنهم الحقيقية.

ثانيا: الألوان المركبة

وهي استعمال أكثر من لون في النص وأحيانا نجد جملة لونيه مركبة من لونين معا

ارى اوراقي البيضاء سودا

ويغمر نار ابياتي دخاني (٥٥)

في هذا نص جمع الشاعر ثلاث ألوان هي الابيض والاسود وصفه اللون في الدخان التي يحتمل فيه أكثر من لون ابيض او اسود وهذا التنوع اللوني يوضح لنا ان النص بأكمله اعتمد اللون بوصفه مفهوم شاملا للتعبير عن المعنى، حيث يشير السواد إلى الهموم والمصائب التي شغلت قلب الشاعر الأبيض فتركت قلبه ممتزجا بين الآمال والآلام فهي كالدخان الذي يحجب توهج النار.

ياعراق الرايات حمرا وخضرا

يا عراق القباب يا قنديل (٥٦)

استخدم الشاعر اللونين هما الاخضر والاحمر، واللون الاخضر لون الحقول والنماء وهو لون بارد واللون الاحمر يدل على الحروب والقتال والبطولات، فكلا اللونين متضادين من حيث الدلالة، ولكنهما اجتمعا معا في موصوف واحد، هو في تاريخ العراق الذي يحفل بالبيئة الخضراء والتاريخ البطولي.

يقول الشاعر في رثاء المرحوم ناجي كاشي:

تخيره البياض له وشاحا

فأطلق بالسواد لنا سراحا (٥٧)

جمع الشاعر بين لونين متضادين دلالة على الحزن الذي الم به من أثر الفقيد الذي عبر عنه بالبياض دلالة على الكفن وأطلق السواد وهو الحزن الذي خيم بسبب صعوبة الموقف.

ويقول أيضا عن وطنه العراق:

هو العراق

رثاتي السود احرقها

وقلبي الابيض الملتاع

يحرق (٥٨)

قد عمد الشاعر إلى التضاد بين اللون الاسود والأبيض لما يعتري نفسه من خوف وهواجس وقلق وترمز الرئة السوداء الى الواقع الأسود المؤلم الذي يعانيه الشاعر بسب انتشار الظلم والطغيان ويبث معاناته ويصرح ان ما يمر به يمكن تحمله لأنه يمتلك قلبا نقيا طاهرا ابيض.

الخاتمة.

وجد الشاعر العراقي قاسم السماوي طاقات غنية في اللون لا يمكن اغفالها فاتخذ منه أداة للإفصاح عن مشاعره، أو تجسيد لأفكاره ولان اللون هو شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانتها. وأهم النتائج التي توصل إليها البحث هو دور الألوان في المواقف المختلفة ودلالاتها حسب السياق التي ترد فيه، فالأخضر لون الحياة والحركة والسرور؛ والأبيض رمز للصفاء، ونقاء السريرة والسلام؛ والأسود يدل على العدمية والفناء والحزن، وأحياناً الى الحكمة والرزانة؛ والأحمر من أكثر سماته ارتباطه بالدم فهو لون مخيف نفسياً ومقدس دينيا، وأما عاطفيا يعتبر لون الحب الملتهب

والتفاؤل والقوة والشباب؛ والأصفر لون المرض والانقباض والجفاف.

ومّما توصّلنا له في هذه الدراسة أن اللون من أهم ما يميز عناصر الصورة عند السماوي، حيث لعبت المفردات اللونية العديد من الوظائف داخل صوره الشعرية، واستطاعت أن تضيف لها قيمة عالية ومذاقاً خاصاً. وايضا عبر اللون عن شيء من ذات الشاعر الباطنية وعن جانب من مكنوناته الداخلية.

الهوامش:

١) ينظر: محمد الفتاح، رؤيا التماثل، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٤.

٢) ينظر: صلاح عثمان، «سيمياء اللون"، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٨، ص٢٠.

٣) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص٣٣٩.

٤) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص٣٤٠.

٥) ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ص٢٢٣.

٦) ينظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، مطبعة الكويت، ١٩٧٨، ص١٩٧.

٧) ينظر: محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق عبد البديع، المؤسسة المصرية، ١٩٦٣، ص١٣٠٩.

٨) ينظر: كاظم حيدر، التخطيط والألوان، مطبعة جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٤، ص١٨١.

٩) ينظر: «الألوان في المعجم العربي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد (٣٣)، ١٩٨٧، ص٣٦-٣٧.

١٠) سورة الحج، آية (٦٣)

١١) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧، ص٢٦١.

١٢) ينظر: علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص٢١٨-٢١٩.

١٣) ينظر: محمد طالب الأسدي، بناء السفينة: دراسة في شعر مظفر النواب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩، ص١٦١.
١٤) ينظر: فارس متري ظاهر، الضوء واللون: بحث علمي جمالي، مطبعة دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص٥.
١٥) ينظر: بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٩، ص٢٢١.
١٦) ينظر: شفيق جبري، «لغة الألوان"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٤٢، ١٩٦٧، ص٢٠٠-٢٠١.
١٧) ينظر: كاظم حيدر، التخطيط والألوان، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص١٨٠.
١٨) ينظر: وليد المشوح، الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٨٩، ص١٨٣.
١٩) ينظر: صدام فهد الأسدي، «دلالة اللون عند شعراء البصرة"، مجلة الطليعة الأدبية، ع٣، س٣، ٢٠٠١، ص٨٣.
٢٠) ينظر: صالح ويس محمد الجحيشي، الصورة اللونية في شعر ابن زقاق البلنسي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص٨.
٢١) ينظر: صدام فهد الأسدي، «دلالة اللون عند شعراء البصرة»، ص٨٣.
٢٢) ينظر: شاكر هادي التميمي، «الصورة اللونية في شعر السياب"، مجلة القادسية، مج٢، ع٢، ٢٠٠٢، ص١١٢.
٢٣) ينظر: أحمد مختار عمر، «الدلالات الاجتماعية والنفسية لألفاظ الألوان في اللغة العربية»، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، تونس، ١٩٦٨، ص٢١.
٢٤) ينظر: محمد مصطفى أبو شوارب، قراءة الوعي الأدبي، دار الوفاء الدنيا، الإسكندرية، ص٢٤-٢٥.
٢٥) ينظر: الحسين بن علي النمري، كتاب الملمع، تحقيق وجيه أحمد السطل، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٧٦، ص٩.
٢٦) سورة آل عمران، آية (٦-٧)
٢٧) ينظر: قاسم والي، قراطيس بألوان راية، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٣، ص٩٨.
٢٨) ينظر: قاسم والي السماوي، تراتيل أورك، دار الينابيع، سوريا، ط١، ٢٠١٠، ص٨٧.
٢٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٣.
٣٠) ينظر: المصدر نفسه، ص١٠٠.
٣١) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٢.
٣٢) ينظر: قاسم والي، قراطيس بألوان راية، ص١٣٨.
٣٣) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص٢١.
٣٤) ينظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ص١٢٠.
٣٥) ينظر: قاسم والي السماوي، تراتيل أورك، ص٩٠.
٣٦) ينظر: المصدر نفسه، ص١٥٤.
٣٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٨.
٣٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠.
٣٩) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص١١١.
٤٠) سورة الرحمن، آية (٣٧)

٤١) ينظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، ج١، ص١٢٠.
٤٢) ينظر: قاسم والي السماوي، تراتيل أورك، ص١٩.
٤٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٥.
٤٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٩.
٤٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٩.
٤٦) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص٢١.
٤٧) سورة الكهف، آية (٣١)
٤٨) ينظر: قاسم والي السماوي، تراتيل أورك، ص٥٨.
٤٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٩١.
٥٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٤.
٥١) ينظر: شكري عبد الوهاب، إضاءة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص٧٦.
٥٢) ينظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص٧٢.
٥٣) ينظر: قاسم والي السماوي، تراتيل أورك، ص٢٤.
٥٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٨.
٥٥) ينظر: قاسم والي، قراطيس بألوان راية، ص٤٩.
٥٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٦.
٥٧) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٧.
٥٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٥.

المصادر:

القرآن الكريم.

ابن فارس، أحمد بن فارس. (د.ت) معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون) دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت) لسان العرب. دار صادر.

أبو شوارب، محمد مصطفى. (د.ت) قراءة الوعي الأدبي: دراسات تحليلية في الأدب العربي المعاصر. دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر.

الأسدي، صدام فهد. (٢٠٠١) دلالة اللون عند شعراء البصرة. مجلة الطليعة الأدبية، ٣(٣)

الأسدي، محمد طالب. (٢٠٠٩) بناء السفينة: دراسة في شعر مظفر النواب. دار الشؤون الثقافية.

التميمي، شاكر هادي. (٢٠٠٢) الصورة اللونية في شعر السياب. مجلة القادسية، ٢(٢)

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (١٩٩٨) فقه اللغة (الجزء الأول، تحقيق أملين نسيب) دار الجيل.

جبري، شفيق. (١٩٦٧) لغة الألوان. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٤٢.

حبيب، بروين. (١٩٩٩) تقنيات التعبير في شعر نزار قباني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

حيدر، كاظم. (١٩٨٤أ) التخطيط والألوان. مطبعة جامعة بغداد.

حيدر، كاظم. (١٩٨٤ب) التخطيط والألوان. مطابع جامعة الموصل.

الزبيدي، محمد مرتضى. (١٩٧٨) تاج العروس من جوهر القاموس (تحقيق عبد الستار فراج وآخرين) مطبعة الكويت.

ظاهـر، فـارس مـتري. (١٩٧٩) الضـوء واللـون: بحـث علمـي جـمالي. مطبعـة دار القلـم.
عبـد الوهـاب، شـكري. (١٩٨٥) إضـاءة المسرحيـة. الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب.
عثـمان، صـلاح. (٢٠٠٨) سـيمياء اللـون. مجلـة كليـة اللغـة العربيـة، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود.
عمـر، أحمـد مختـار. (١٩٦٨) الـدلالات الاجتماعيـة والنفسـية لألفـاظ الألـوان في اللغـة العربيـة. في الملتقـى الـدولي الثالـث في اللسـانيات، تونـس.
مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة الأردني. (١٩٨٧) الألـوان في المعجـم العـربي، العـدد (٣٣)
محمـد، صالـح ويـس. (٢٠٠٧) الصـورة اللونيـة في شـعر ابـن زقـاق البلنـسي (رسـالة ماجسـتير، جامعـة الموصـل)
المختـار، أحمـد. (١٩٩٧) اللغـة واللـون (الطبعـة الثانيـة) عـالم الكتـب.
المسـعودي، عـلي بـن الحسـين. (د.ت) مـروج الذهـب (تحقيـق محيـي الديـن عبـد الحميـد) المكتبـة الإسـلامية.
المشـوح، وليـد. (١٩٨٩) الصـورة الشـعرية عنـد عبـد اللـه الـبردوني. منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب.
النمـري، الحسـين بـن عـلي. (١٩٧٦) كتـاب الملمـع (تحقيـق وجيـه أحمـد السـطل) مطبعـة زيـد بـن ثابـت.
والي، قاسم. (٢٠١٠) تراتيل أورك. دار الينابيع.
والي، قاسـم. (٢٠١٣) قراطيـس بألـوان رايـة. تمـوز للطباعـة والنـشر.